



مركز البيدر للدراسات والتخطيط

Al-Baidar Center For Studies And Planning

حين تتوفر الشهادة الدراسية ويغيب نضوج الشخصية الدور الضئيل للذكاء العاطفي (EQ) في حياتنا

محمود سريع القلم

ترجمة وتحرير مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكومية، وغير ربحية، تأسس سنة ٢٠١٥م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

ويسعى المركز للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسية التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الإصلاحات الاقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

ويسعى أيضاً للمساهمة في بناء الانسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org

حين تتوفر الشهادة الدراسية ويغيب نضوج الشخصية

الدور الضئيل للذكاء العاطفي (EQ) في حياتنا

محمود سريع القلم*

هل يكفي امتلاك شهادة جامعية لإدارة العواطف والتسلح بنزعة عقلانية في التكلم والسلوك؟ بالطبع لا يكفي تعلم العلوم وتكديس المعلومات في الذاكرة، بل ثمة حاجة إلى نوع من النضوج في الشخصية والسلوك. إذا كنا نوظف الـ (IQ) في الجامعة، أين يفترض البحث عن الذكاء الاصطناعي (EQ)؟

لماذا ينال الأفراد في العالم الثالث شهاداتٍ دراسية، ولكنَّ شخصياتهم بنحو عام لا تتغير كثيراً؟ لو أجرينا مقارنة بين مجتمعات شرق آسيا وغرب أوروبا سيتضح أنَّ عامل التقدم والتنمية لا يقتصر على مستويات العلم والمعرفة، بل قد يكون مرهوناً إلى حد كبير بـ«نضوج الشخصية». فلم يكن العلم والخصخصة الاقتصادية العامل الوحيد في بلوغ الصين وكوريا الجنوبية وفيتنام إلى مستويات متقدمة في الاقتصاد والسياسة، بل إنَّ «السيطرة على الغضب»، و«السيطرة على العواطف»، و«معرفة المشاعر والعواطف الشخصية» و«القدرة الاستدلالية على فهم الآخرين» و«إمكانية تقبل الواقع»، و«القدرة النفسية على الاندماج» و«فهم الذات من منظور الآخرين» و«تقبل تقييم الذات» أمورٌ لكلٍ منها دورٌ حاسم وكبير في تقدّم هذه الدول.

هذه المواهب والإمكانات تختلف كثيراً عن المواهب المطلوبة ليكون الفرد عالماً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم النووية والهندسية. إنَّ واحدة من مهارات الحياة المهمة هي فهم ظروف الآخر أو الطرف المقابل، سواء أكان هذا الآخر صديقاً، أو جاراً، أو صاحب متجر، أو ابناً، أو مؤسسة ودولة، أو حزباً مخالفاً، أو حكومة أجنبية. هذه المهبة تختلف عن الذكاء الرياضي؛ ولهذا السبب قد نجد أحدهم يحمل شهادتين في الدكتوراه من أبرز الجامعات العالمية، ولكنه لا يدرك نتائج المفردات التي تُستعمل في التعامل مع الآخرين. إنَّ المعرفة (Knowledge) ومعالجة البيانات (Information Processing) تحتاج إلى ذكاء معيّن، وإنَّ إدارة العواطف

* أستاذ العلوم السياسية وكبير الخبراء في العلاقات الدولية في جامعة الشهيد بھشتي بطهران.

والمشاعر والغضب والهَم والخوف والفرح الكبير يتطَلَّب ذكاءً مختلفاً. يقول البريطانيون: إذا كانت فنتان أو مجموعة فئات تختلف فيما بينها لماذا يحرقون السيارات في الشوارع ويهدِّمون المباني ويستخدمون ألفاظاً نابية ويقتل بعضهم بعضاً؟ عليهم أن يفهموا ويدركوا بعضهم الآخر، وكلُّ يفسح المجال للآخر والجميع يشكِّلون دائرة كبيرة لمصالح جميع الأطراف. لماذا التخريب والتهديم؟ لماذا السب والشتم؟ لماذا العنف؟ لهذا السبب نجد في بريطانيا، وعلى خلاف فرنسا وروسيا، حضور الحركات الاجتماعية الفعالة والنشاطات المدنية والسياسية، ورغم نشاطها لم تؤدِّ إلى انهيار النظام والفوضى، ولعلَّ السبب الرئيس في ذلك هو إدارتهم المنطقية للعواطف والمشاعر والغضب والخوف.

والأهم من فهم الآخرين هو فهم الذات، فقد ورد في المعجم في معرض بيان مفردة (Introspection) العبارة الآتية: (An examination of one's thoughts and feelings) أي (تأمل باطني ينصب على ما يجري في عالم الشعور).

من الواجبات الدراسية التي يطلبها الكاتب من تلامذته في مرحلة الدكتوراه هو أن يكتبوا خلال أسبوع واحد خمسين صفحة عن أنفسهم. حين أجري هذا التمرين لوحظ أن أغلب الطلبة لم يكتبوا أزيد من خمس إلى ست صفحات، وهذا يعني أنَّ معلوماتهم عن أنفسهم قليلة جداً.

ما السبب في هذا التباين والاختلاف الكبير فيما بيننا، وهكذا ثمة خلاف جذري على الصعيد الخارجي مع جيراننا وغير جيراننا؟ هل الأمر يعود إلى مصادر النفط والغاز؟ أم للموقع الجغرافي؟ أم له علاقة بغزو المغول؟ أم الاستعمار البريطاني؟ وهل يمكن أن يعود السبب إلى طريقة تفكيرنا وإدارتنا لمشاعرنا وروحياتنا؟ لقد واجهت فيتنام خمساً من القوى الإقليمية والعالمية: الصين، اليابان، كوريا، فرنسا والولايات المتحدة. وها هي اليوم مع نفوسٍ تبلغ ما يقارب ٩٧ مليون نسمة وبمساحة جغرافيا صغيرة (٣٣١٢١١ كيلومتر مربع) وبحكومةٍ مركزية شيوعية وسلطوية قد حققت نتائجاً محلياً إجمالياً يبلغ ٢٧١ مليار دولار، إذ نجحت في استقطاب رأس المال الأجنبي. الأمر الأساس في هذا الموضوع هو أن فهمنا وفهم الآخرين لا يمثِّل مجرد معلومات وبيانات. فالأنانية والعصبية والعواطف الهائجة والغضب والخوف من شأنه أن يترك أثراً كبيراً في فهمنا عن أنفسنا وفهمنا عن الآخرين. وهنا يكمن الفرق بين روسيا والصين. لا تملك روسيا قدرة إنتاجية كقدرة اليابان، بل تنتج القوة من خلال الدبابات والطائرات المقاتلة. ولكنَّ الصين قد سألت نفسها: كيف تمكَّن الغرب من اجتياح العالم؟ يكمن الجواب في القيام بتنظيم واسع النطاق للإنتاج والثروة. لقد شخصت الصين مرتبتها المتدنية في الفقر في زمن «ماوتسي تونغ» وأدركت قوَّة الطرف المقابل

(أي الغرب)، وفي الوقت نفسه لم تسمح للغرور التاريخي أن يلعب دوراً في هذه الإدراكات، لتنجح خلال ثلاثة عقود فتلعب مرتبةً باتت جميع دول العالم عاجزةً عن فكِّ ارتباط اقتصادها بالصين.

حين يتعطلَّ (حاصل الذكاء العاطفي - Emotional intelligence) أو عقلية «إدارة» العواطف، عند ذلك لن ينتبه الفرد بأنَّ نشاطاته وأقواله كيف تؤثر في تفكير الطرف المقابل (الأخر) وسلوكه وروحياته. ولأنَّ مثل هذا الفرد يتصرف بغضب وعصبية وكرامية، ويعتمد عواطفه ويسعى إلى الانتقام والرَّد والتصفية والازدراء فإنَّه يقضي على أيِّ فرصة متوقَّعة للتعامل والتسوية.

مما يثير كثيراً من التأمل والتساؤلات هو أنَّ مفردة (Compromise) بمعنى «التنازل» قد تُرجمت في أدبياتنا الاجتماعية والسياسية بـ«التسوية». هذا يعني أنه يجب عدم التسوية والتنازل، بل يجب الرَّد والقتال والاستمرار بالمقابلة والتصارع والانتقام!

بين المعرفة والبيانات من جانب، والسلوك من جانبٍ آخر تتركُّ العواطف والمشاعر أثرها وتوجِّه السلوكيات وردود الأفعال. لعلَّ النمط المتذبذب في تاريخنا وتبديل الأنظمة السياسية بنحو مستمر ورتيب كان بسبب عدم امتلاكنا نسبة كافية من الـ(EQ) في إدارتنا لخلافاتنا الفكرية والاجتماعية. يسأل كثيرون ألسنا نملك كثيراً من الموارد الطبيعية وبلداً مترامياً وأدباً غنياً وأسساً فلسفية فذة وجامعاتٍ مناسبةً وأفراداً كفوئين في العلوم والهندسة والطب والقانون والاقتصاد؟ إذن لماذا نعجز عن بناء نظام لعلاقتنا الداخلية والخارجية؟

إن واقعنا الراهن يدلُّ على أن الحلقة المفقودة ليست في امتلاك المعرفة والبيانات، بل في «فهم الذات وفهم الآخرين». وفي فهم الذات وفهم الآخرين لا تكمن المشكلة الرئيسة في شحَّة البيانات والمعلومات، لاسيما في عالم (G5)، إذ إنَّ عملية الحصول على البيانات لا تعاني من مشكلة، حيث يبدو أنَّ «إدارة الـEQ والذكاء العاطفي بنحو معقول» تحتاج إلى اعتناء أكبر.

لم نسمع يوماً أن مسؤولاً إسرائيلياً قد أقرَّ بامتلاك إسرائيل أسلحةً نووية. ثمَّة سيطرة مدروسة ومتقنة بين السياسة الإسرائيليين وكلَّهم متفقون على ضرورة عدم البوح بهذا الموضوع، حتَّى وإن كان من أجل إرعاب الآخر، أو لإظهار الغضب، أو لإثبات التفوق، ففي كلِّ الأحوال لا يوظفون هذا الأمر في إطار إعلامي. بل إن هؤلاء السياسة قد عملوا بصورة معقَّدة ومتقنة بنحوٍ يدرك الجميع هذه الحقيقة (Fact) النووية، ويعتنون بها.

ولكننا بسبب ضعفنا في الـ (EQ)، ولأنَّ عامل «التظاهر والتباهي» ينشط لدينا أكثر وأقوى من عامل الحكم الرشيد، وإجماع النخبة والمصالح طويلة الأمد والعقلانية السياسية، فلذلك نبوح ونكشف عن الأعمال التي ننوي القيام بها قبل أن ننجزها فعلاً. فحتى في القضايا الاجتماعية الاعتيادية والعامة إذا كان ثمة من يضع في حسبانته مصالحه طويلة الأمد سيكون حذراً جداً في اختيار مفرداته وفي طبيعة حديثه وسلوكياته «الفعلية».

هل مجرد امتلاك الشهادة الجامعية يكفي لإدارة العواطف وللتسلح بنزعة عقلانية في التكلم والسلوك؟ بالطبع لا يكفي تعلم العلوم وتكديس المعلومات في الذاكرة، بل ثمة حاجة إلى نوع من النضوج في الشخصية والسلوك. إذا كنا نوظف الـ (IQ) في الجامعة، أين يفترض البحث عن الـ (EQ)؟ على الرغم من أنَّ التعليم من شأنه أن يكون عاملاً مؤثراً في الـ (EQ) فإنَّ اكتساب هذه المهبة يتطلب مستويات أعلى بكثير من مستويات كسب المعرفة ونيل الشهادة. فحتى دول مثل اليابان والنرويج والدنمارك وبريطانيا التي حققت نمواً كبيراً في الـ (EQ) فإنَّها مثل التنشئة الأخلاقية للإنسان لازالت قادرة على اجتياز وتجربة مجالات جديدة، إذ ليس ثمة حدود مشخصة وطبيعية للـ (EQ).

على غرار التعلم الاحترافي للغات الأجنبية فإنَّ أفضل مرحلة عمرية لتنمية الـ (EQ) هي مرحلة الأدي من خمس عشرة سنة. إنَّ الشرط الأول، ولعله الشرط الأهم، لتحقيق هذا الأمر هو أن تدرك مجموعة الأسرة والمدرسة والإعلام والمجتمع والدولة أهمية الـ (EQ)، وأن تزج مسألة «إدارة» الغضب والعصبية والحزن والخوف والعقد والإحساس بالنقص والعواطف والمشاعر ضمن آلية اتخاذ القرارات الفردية والعامة. بعد ذلك تُدرج قضايا الـ (EQ) في المناهج الدراسية في المرحلة الثانوية، ويجب ألا تُصنّف أهميتها في مرتبة أدنى من الفيزياء والكيمياء والرياضيات ونيل الشهادات الجامعية. إذ يجب أن تتحوّل معرفة الذات والاعتناء بمشاعر الآخرين ومطالبهم إلى عادات إيجابية ومحبّدة بين أفراد المجتمع. وعلى صعيد الأسرة يترتب على الآباء والأمهات أن يكونوا في بادئ الأمر مدرّكين تماماً لأهمية الـ (EQ) ليتمكّنوا من تنفيذه في أجواء الأسرة. إذا كان الفرد يمتلك الـ (EQ) فلا يركن سيارته مطلقاً في المكان غير المناسب وينحو موازٍ، لأنّه لا يرغب في أن يسبب لنفسه إحراجاً ولا للآخرين. مثلاً ركن السيارة الموازي يمكن مضاغفته بخمسة آلاف مرّة وتعميمه على موارد فردية واجتماعية أخرى.

ال (EQ) حاضرة في كلِّ الشؤون اليومية لحياة الإنسان. والأفراد المتمتعون بنسبة عالية من الذكاء العاطفي يتمتعون في آنٍ واحد بمستوى ملحوظ من الثقة بالنفس. إنَّ الشعوب والأنظمة السياسية التي تدرك أهمية ال (EQ) وتوظِّفه، تتخذ قراراتها بنحوٍ أفضل وأكثر دقَّة، وتعالج مشاكلها بنحوٍ أفضل، وتراجع نسبة أخطائها، وتحلُّ خلافاتها مع الآخرين بنحوٍ أعمق وأكثر مرونة، وفي الوقت الذي تعنى بالعلم والمعرفة تضع في حسابها أهمية الطباع البشرية واكتشاف الذوات الإنسانية وذوات الآخرين.

وفي مقابل ذلك نجد الأفراد الضعفاء أو المجتمعات الضعيفة في ال (EQ) يكذبون بكلِّ سهولة، ويتجاهلون ال (Fact/ الحقيقة)، ويمارسون الحيلة والخداع عن وعي وبدلاً عن التدبير، ويفقدون المشاعر في مواجهة عملية قلب الحقائق؛ ولأنَّهم تتكوَّن لديهم ذاكرة قصيرة الأمد يعتمدون طريقة انتهاز الفرص في سلوكياتهم. إنَّ جميع هذه المشاكل السلوكية تعود إلى قضية رئيسة واحدة، ألا وهي خوف الفرد من مواجهة ذاته الواقعية، والخوف من مواجهة حياته الواقعية وواقعه الاجتماعي.

إنَّ دور ال (EQ) في حسم الأمور يبلغ مرتبة من الأهمية بنحوٍ يدفعنا إلى القول بأنَّ هذا النوع من الذكاء لو كان حاضراً بين أفراد المجتمع لما حصلت كثير من الاحداث، ولكانت الخلافات في الداخل والخارج تُعالج بنحوٍ آخر.

رابط المقال:

<http://irdiplomacy.ir/fa/news%/2009799/D9%88%D9%82%D8%AA%DB8%C%-DA%A9%D9%87-%D9%85%D8%AF%D8%B1%DA%A9-%D9%87%D8%B3%D8%AA%-D8%A7%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D9%84%D9%88%D8%BA%-D8%B4-%D8%AE%D8%B5%DB8%C%D8%AA-%D9%86%DB8%C%D8%B3%D8%AA>